(١٤)

الإستراتيجية و متلازمة القضاء والقدر والثأر

سألتُ صديقي: هل يمكن أن يكون العقل المصري بلا إستراتيجية على الإطلاق؟

تطلع في وجهي بعنف وقال: هل أنت مجنون أو مغيب لتتحدث عن الإستراتيجية؟ أي إستراتيجية تلك التي تتحدث عنها والناس لا تجد (الفراخ) لتأكلها، لم يحدث في العالم أن تخلصتْ أمة عبر التاريخ القديم والمعاصر من عشش فراخها كما فعلنا نحن، وبعد أن انتهينا أعدنا الفراخ للدكاكين مرة أخرى بسعر مضاعف!.

وأدركتُ كم نحن سذج، وكم نحن بُكم، وكم نحن حكماء.

(وسكتْ قليلاً واستطرد) ليست هناك أمة في التاريخ أيضًا حصل نصف أبنائها في سنة دراسية على أكثر من ٩٠٪ في الثانوية العامة لنثبت أننا شعب ليس له مثيل على الإطلاق، كل ذلك في ظل انهيار التعليم، وفي ظل اعترافنا بالطالب المتوسط.

حسنًا، فلتكن الإستراتيجية هي حديثنا التالي، هل تعلم بأن (هارفارد) تنادي الآن بأن أفضل إستراتيجية بأن لا تكون لك إستراتيجية على الإطلاق، ويبدو أننا تغلبنا على (هارفارد) بجلال قدرها منذ عشرات السنين، ولكن أي إستراتيجية تعني؟ إستراتيجية القهر، إستراتيجية الهوان، إستراتيجية الذل، إستراتيجية الفوضى، إستراتيجية التطفيش.

وبمناسبة التطفيش الراجل (صنع الله إبراهيم) كتب في (أمريكانلي) حاجة غريبة جدًا... سألته في توتر: إيه يا سيدي؟ هو إحنا ناقصين كمان (صنع الله إبراهيم)؟

أجاب ضاحكًا: الراجل ده كتب رواية ولا موسوعة عن فساد الفكر اسمها (أمريكانلي)، بيقولك ٩٢٨ ألف عربي هاجروا للولايات المتحدة وأوروبا أغلبهم متعلمين وحاصلين على الماجستير والدكتوراه، بالمناسبة أيضًا منهم ٣٨ عميد لأفضل كليات الإدارة في العالم.

إستراتيجية إيه اللي بتتكلم عنها؟!

ليس هناك هدف محدد نسعى إليه في مصر، ليس هناك هدف واضح، والأفكار المطلوبة للتحقيق على لسان كل مسؤول أفكار عريضة مستحيل تحقيقها لأنها ليست واقعية وهدفها إرضاء الحاكم قبل إرضاء الشعب، فتأتي الأهداف عبارة عن أحلام من الدرجة الثالثة.

نحن نمر بمرحلة يمكنني أن أطلق عليها مرحلة العدمية أو النهليستية (تاني)، كتلك الفترة اللي مرت على أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، طب إحنا ما مريناش بنفس الفترة، لكننا نعيش فترة أسوأ. ها تقؤللي ما فيش إستراتيجية.

الإستراتيجية هدف على المدى الطويل، مش كده، شفت إستراتيجيتنا في محو الأمية، بنجيب ناس ما لهاش دعوة بالأمية وبنحطها على رأس جهاز محو الأمية، وبعد ١٠٠ سنة لسه ما محيناش الأمية، والتعليم اللي قدمناه للناس اللي محونا أميتهم بيه، كان تعليم فاسد، خلاهم أكثر فسادًا وقدرة على التحايل والإغراق في فكر عقيم، دا إذا صح حتى أننا نطلق عليه (فكر).

جميعنا نؤمن بفكرة التوكل على الله، والتي تمحورت مع الوقت إلى حالة من التواكل، لقد أصبحت كل قوانيننا ونظمنا ومؤسستنا هي ردود أفعال لما يقوم به الآخرون، حالة من الفوضى العشوائية غير المتكررة في التاريخ، نحن نموذج للفوضى العارمة، فوضى في كل شيء، حتى أصبح كل شيء يستعصى على العلاج لسببين: هما غياب القانون بشكل قسري، ونيتنا المبيتة في عدم العلاج، لا بشكل كلي، وإنما نعالج بشكل جزئي مشوه يزيد الفوضى فوضى.

كيف يتعامل العقل المصري مع فكرة الإستراتيجية؟ على المستوى الفردي الحياتي اليومي، وسأترك لك الحديث عن المستوى المؤسسي.

ما هي الأهداف التي أسعى أنا وأنت والآخرون إليها، على المدى القصير أو على المدى الطويل، أسمع كلمة (لقمة العيش) أو (خليني عايش) أو (خليها على الله) أو (اللي يبص لفوق يتعب)، أليست هذه هي العبارات المأخوذة من القاموس العامي المصري والتي تؤكد أن الحياة تم اختزالها تمامًا في هذه الألفاظ لتشكل صورة ذهنية عن شكل الحياة نفسها ومن ثم المصير، حالة انسحابية من الرغبة في التفكير، أو أن أقصي أماني (فكرة الإستراتيجية) هو الحصول على الكفاف اليومي الذي أؤّمن به حياتي (ليس هناك هدف آخر)، وأهمية التخلي عن فكرة الصعود إلى أعلى من أجل الراحة ومن ثم البقاء.

طيب إذا كان هذا هو تفسير العقل المصري لفكرة الوجود ومن ثم المستقبل الذي لا يجب أن يكون محفوفًا بالمخاطر، فماذا حين يجلس على مقعد الحكم يتحول إلى شيء آخر؟

الحقيقة المرة في نظري أن لا حاكم واحد في مصر خطط لأن يكون حاكمًا، إنها الأقدار والصدفة هي التي تأخذ بأيديهم، أي إنه لم تكن له إستراتيجية محددة، وتم التخطيط بعد أن ضمن الجلوس فوق المقعد

ولسنوات طويلة. كم قتل (محمد علي) من مماليك وأتباعهم حين وجد أنه يمكن أن يجلس فوق كرسي الحكم؟، ألم يضع (عبد الناصر) الآلاف في السجون والمعتقلات؟، وألم يفعل (السادات) الشيء نفسه مع كل من خالفه؟، هل كان خوفًا على الدولة أم خوفًا على السلطان؟ وهل كانت هذه نية مبيتة أم خلقتها الأحداث؟.

إن كل الذين وضعوا السلطان في مصر على كرسي الحكم كان مصيرهم التشريد والاعتقال والقتل، بل وصل الأمر إلى حد استلاب العقل المصري الجمعي، فحين يُهزم هذا البطل في حرب، فما المانع من عبادة البطل المهزوم؟. وهكذا انتهى بنا الحال إلى ما نحن عليه.

يقول (جوته): "إن نقائص الإنسان مستمدة من عصره، وفضائله وعظمته مستمدة من نفسه".

ولكن ماذا سيقول (جوته) إذا تشابهت كل العصور في التاريخ المصري في النقائص، ألن يترك ذلك ترسبات لعينة في الذات المصرية، (فتترك تأثيراتها السلبية على خصائص هذه الذات)، فينمو بعضها مع الوقت ويُقتل بعضها مع الوقت؟!

وها نحن نرى أن فكرة الإستراتيجية على الرغم من أنها عامل مكتسب وليس وراثيًا بالطبع؛ تصبح فكرة غير مطلوبة ولا معنى لها، لأنها ستؤدي إلى تدمير الذات بشكل سريع، ونحن نفضل تدمير الذات بشكل بطيء. أليس هذا هو الفرق.

سأعود إلى (فرنسيس بيكون) وفي مقولته الشهيرة : "إن أفكارنا صور عن أنفسنا أكثر من كونها صورًا للأشياء"، إذا كان هذا هو ما ترسخ داخلنا، فإن رؤية ما يحدث حولنا لا يعنينا من قريب أو بعيد، فلتفعل أمريكا أو أي دولة في العالم ما تريد، فنحن لا نهتم ولن نهتم، إن عيوننا معلقة برغيف الخبز وحفنة الملح، وطالما هما معلقتان على الحبال أمامنا يوميًا فلا يجب أن نتطلع إلى شيء آخر، لا يهم من صعد إلى القمر، ولا يهم آلاف الأقمار الصناعية التي ترصد أحوالنا اليومية، حتى إنني أكاد أقسم بأنهم في النهاية سيتركوننا نفعل ما نشاء، لأننا نكرر أفعالنا وأنفسنا ورؤسائنا وتاريخنا وعصورنا، لا جديد تحت الشمس، فلماذا ينفقون على من لا يتحرك؟

إن من يتحرك منا أو يحاول الحركة كمثل ميت ينقضي قبل طلوع روحه وقبل انقضاض ملاك الموت عليه، هل هذه هي الحركة الوحيدة التي أصبحتْ مقبولة في المجتمع، الإستراتيجية تعني في أبسط مفاهيمها حركة منظمة إلى الأمام.

تعالوا نتطلع إلى واحدة من رؤى أفضل الشركات في العالم، شركة (أديداس) مثلاً – التي تبيع الأحذية للعالم كله – دعونا نتأمل مجال هذه الرؤية: "المستحيل ليس حقيقة، إنه مجرد رأي".

إستراتيجية شركة تبيع الأحذية –قسمًا بالله العلي العظيم تبيع الأحذية– ولنسأل أنفسنا جميعًا ما الذي نريده لأنفسنا، ولوطننا ومؤسساتنا؟

لن نجد، وإن وجدنا فإنه كلام لا معنى له، كلام أحمق يردده حمقى لا يفعلون شيئًا سوى الكلام، ويا أصدقائي قال الفقهاء "لو لم يتكرر الكلام لنفد".

إن كل التطورات في مصر تصب في صالح بعض الأفراد وليس الدولة، ليس النظام System فليس لدينا نظام Order، لدينا عشوائية بعض الأفراد، وهم الذين يتركون بصمتهم في العالم، أما النظام Order فقد مات وشبع موتًا، أصبح النظام جزءًا من فكر فرد فاسد، كان سلاحه الوحيد الوقت والزمن، وفي النهاية مات كل شيء.

تركنا أنفسنا نهبًا لفكرة القضاء والقدر، وفكرة الإستراتيجية تناهض فكرة القضاء والقدر، فالإستراتيجية بحث عن المستقبل المبني على إرادة الإنسان، أما القضاء والقدر فهو المستقبل الذي لا يعلمه سوى الله وحده، وإذا كنا نحتاج إلى الأولى، فنحن في حاجة أيضًا إلى الثانية

حتى نستطيع أن نطمئن على مستقبل دولة بأكملها كانت تسود العالم كله بفنها وفكرها وعلمها، ولكن ها هي كل مؤشرات التنمية والسياسية والاقتصادية وحقوق الإنسان والشفافية والنزاهة والمرأة والمسائلة تضعنا في واقع القاع (البكابورت المسمي خطأ بالواقع وفقًا لرأي البعض)، وحتى بعض الدول التي لم تعرف التعليم بعد، أو تلك الدول التي تحترق بسبب حروب أهلية تأكلها، هذه الدول سبقتنا بعشرات الأشواط على مؤشر التنمية، أما ماذا يحرقنا، فهي حالة اللا مبالاة نحو المستقبل، الناجحون فقط هم الذين لديهم ذلك، والحسدة والحقدة واللا مبالون والذين يسمعون عن كلمة إستراتيجية للمرة الأولى هم جملة الفاشلين والمتورطين والفاسدين.

ما الذي يدفعنا إلى أن لا يكون لنا رأي في المستقبل؟
سنوات الحكم الطويلة للحكام والتي لا تغير شيئًا في واقع وأحوال المصريين، فمازلنا نرزح تحت عبء التخلف والتبعية والتراجع والنكوص والارتداد.

فكرة القضاء والقدر لا تفرق بين مسلم ومسيحي، التراث المصري من التواكل، التعليم الفاسد، النماذج الفاسدة، ألم أقل لكم إن الأمور متشابكة للغاية. وعلى الرغم من السواد المستشري، فما زلت أري

بصيص الضوء، لكن الرعب داخلي يمتد حين أفكر بأنه حتى هذا البصيص يمكن أن ينطفئ.

من أسوأ الأشياء التي أعيشها كل يوم، أنه على الرغم من معرفتي بعشرات من أساتذة الإستراتيجية المصريين المعروفين على المستوى العالمي ويقومون بإلقاء محاضرات في العالم كله، فإن هذا الوطن لا إستراتيجية له، كأن الله يعاقبنا بوجودهم بيننا.

لقد أصبحتْ أسوأ أحوالنا الآن لا تعني فقط توقفنا عن المشاركة في تطوير الإنسانية، بل أصبحت تعني انسحابنا من ركاب تطوير الإنسانية، فهل هانت علينا جميعًا سبعة آلاف سنة من تطوير الإنسانية حضاريًا، وارتضينا الذل والهوان إلى هذه الدرجة، إلى الدرجة التي استكنا فيها إلى أنه ليس لدينا أي قدرة على فعل أي شيء؟
إنه إحساس مهين وقاتل.

الله يخرب بيتك يا (صلاح يا جاهين):

مُر الكلام زي الحسام بقطع مكان ما يمـر
أما المديح حلو ومريح ينفع لكن.. بيضـر

(١٥)

الإغراق الديني و الثأر

الدين من الموضوعات الشائكة، ولكن هناك فرق بين التدين والإغراق في التدين، بين السماحة والقبول وبين التطرف، سواء كان ذلك في الإسلام أو المسيحية، فلم أر في حياتي مسلمًا أو مسيحيًا، لقد رأيتهم مصريين وأحببتهم كمصريين ومارست حياتي معهم كمصريين.

الإغراق الديني لدى الإنسان المصري حالة مستعصية الآن، ما هو مكمن التطرف الديني؟ وهل كان الإنسان متطرفًا دينيًا، أم أن بينه وبين التطرف شعرة واحدة كانت دائمًا موجودة، لكن لا أحد كان يشعر بها؟

إن السلوك الديني لدى الإنسان المصري، هو سلوك واحد تقريبًا لم يتغير، أيًا كانت الديانة التي يدين بها، لكن الملاحظ الآن أن هناك حالة من تغييب العقل تمامًا عند التفكير في أي مسألة تتعلق بالدين، ما السبب في ذلك؟

ها هو مقطع من أهم ما كتب (أرسطو) يُنَظِّر لتلك المسألة:
"على الحاكم أن يكون متدينًا وينمي النزعة الدينية في بلاده، كما ينبغي أن يظهر الحاكم؛ وخصوصًا الحاكم المطلق أو المستبد؛ اهتمامه في إقامة شعائر الدين وعبادة الآلهة، لأن الناس إذا اعتقدوا بتدين الحاكم وتوقيره للآلهة، يقل خوفهم من نزول الظلم بهم على يديه، ويقل ميلهم وتدبيرهم في التآمر عليه، لاعتقادهم بأن الآلهة سوف تحارب إلى جانبه".

ألم يفعل ذلك كل الحكام المصريين في الملكية والجمهورية، ولكن هل وقف الله بجانبهم؟ هل وقف الله بجانبنا لأننا مسلمين ومسيحيين حاربنا عن قناعة في كل ما خضناه من حروب؟
إن انتصارنا أو هزيمتنا كانت مبنية على أسباب عقلية وعلمية، ووقف الدين حاميًا ودافعًا وباعثًا ومحفزًا على النصر، وليس مغيبًا لإرادة الفرد في الحصول على النصر.

لقد كشف (أرسطو) عن دور الدين لدى الحاكم منذ آلاف السنوات، ولا أشك أن هذا الكشف كان موجودًا منذ عشرات الآلاف من السنين أيضًا، مما يؤكد أننا مازلنا في مرحلة طفولة الأفكار والأفعال،

طالما ليس هناك جديد، ولكن ماذا يعني ذلك الآن؟ هل يعني أن الحاكم يحض على الإغراق الديني والتطرف، لقد فعلها (السادات) في السبعينيات فكانت وبالاً على الجميع ومازالت، أخرج مارد التطرف الديني من القمقم.

ما الذي يدفع الناس للتطرف؟

الظلم، الاستبداد، البحث عن حلول ليست في متناول البشر، التعليم الخاطئ، تربية الأم – الأم بالذات – فالأم المصرية معروف عنها التدين أكثر من الرجل، وهي التي تحتضن أطفالها وتبث فيهم كل القيم والمخاوف،ولأنها تعيش كمواطن من الدرجة الثانية في البيت مع أدنى حظوظ التعليم، تصبح المسألة قنبلة موقوتة، تتسع مع تعليم متواضع ومشوه أو مع عدم التعليم فهي التي تبث في الأبناء –رجال المستقبل– كل أنواع السلوك المرتقب من الثأر إلى العدوانية إلى الخنوع والتقهقر، ومع معرفتنا بهذه الحقيقة، أو شبه الحقيقة، فالمرأة المصرية محلك سر منذ أيام مينا واخناتون وحتى الآن. وكم من شعراء وفنانين وفلاسفة تغنوا بها، دون أن يتحقق لها على أرض الواقع سوى مكاسب هزيلة، وأسلمنا الشعب كله بكل أفراده إلى مواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة مهضوم الجانب ليعيث في عقله فسادًا.

أتوقف أمام أسئلة قراء الصفحات الدينية ومشاهديّ برامج التليفزيون الدينية ولكل صاحب كهنوت، هل أدخل المسجد بقدمي اليسرى، أم قدمي اليمني؟ هل هذا هو الدين، هل هذا هو العقل الذي منحنا الله حتى نلغيه تمامًا ونهيل عليه آلاف الأطنان من الأتربة والقاذورات التي تملأ كل شوارع المحروسة والتي تركناها مع سبق الإصرار والترصد كنوع من التمرد على كل ما يحدث. أهملنا العقل تمامًا، احتلت الذاكرة كل المقاعد، وتوعدنا الذكاء والإبداع الفردي بكل أنواع العقوبات من القتل إلى السحل والسجن والحرق وسكين في الرقبة، ولا مانع من بضع شتائم إذا لم تستطيع أن تفعل شيئًا في النهاية، هل نحن نحترم عقولنا وإبداعنا وذكاءنا؟ لا أعتقد.

ما الذي يعود بنا إلى الوراء؟ إن الإسلام دعوة إلى إحكام العقل، وروافد الإسلام لم تخلو من الاجتهاد، والإسلام يدعو إلى طلب العلم في كل مكان، المعرفة، العقلنة، إذكاء روح الإبداع، فهل هذه هي الأسئلة التي تُسأل؟ لماذا؟ لأننا قتلنا روح العقل وقبلها قتلنا روح الإرادة والإحساس في الإنسان، في المدرسة والجامعة والمؤسسة والصحيفة، لأننا لا نطيق من يفكر ولن نطيقه، لأننا منذ عهود الملكية الأولى، الفرعونية واليونانية الرومانية حتى الجمهورية، لا نطيق التفكير المتعارض معنا، نحن نحيي التفكير الذي يوائم أغراضنا وأهدافنا.

لقد روعتني تلك الحادثة التي انتحرت فيها امرأة لديها ثلاثة أطفال من زوجها الذي تعشقه، هذه المرأة المتدينة التي تصلي وتصوم وتزكي وتستغفر الله، حين علمتْ بأن زوجها قد رضع على أخيها وأنه بذلك يعتبر أخًا لها في الرضاعة، بعد حياة طويلة وعدة أطفال، يأتي من يقول بأن التطليق واجب، وبأن الأطفال ليسوا باسم الأم، فلم تجد المسكينة طريقًا آخر للنجاة سوى الانتحار! الانتحار الذي أودى بها إلى أن تموت كافرة؟ ماتت كافرة مرتين؛ مرة لزواجها الذي لا يتفق وشروط الفتوى؛ ومرة لانتحارها وفق رأي الفتوى.

هناك المئات والآلاف من القصص التي تعبر عن تمسك الناس بالدين شكلاً دون إدراك حقيقي لمضمونه وأهدافه، اختلطت كثير من الأساطير بالدين كأنها ردة للعقل والتعليم والعلم، لم يتوقف الدين الإسلامي في العصور الزاهرة عن تطوير المجتمع والفرد، وها نحن في النهاية لا تمسكنا بالدين ولا بأهدابه، وأمسكنا عن التطور أيضًا بترهات وشكليات قاتلة، فأصبح العري والدعارة هما التحضر والحرية. يا لها من مأساة حقيقية نعيشها جميعًا.

ثم ما هذا الانتشار الغريب لثقافة السحر والشعوذة حتى بين أغلب عتاة المتعلمين، ناهيك عن الأميين وأنصاف الأميين وأشباه المتعلمين، خاصة بين النساء، ما هذا العدد الهائل من البشر الذي يزور الأضرحة ويتمسح بها وبأتربتها وبأمراض من سبقوهم إليها، لا مانع من التوسل بالأولياء الصالحين وآل البيت، ولكن يجب أن يُبنى ذلك على درجة من التعليم والمعرفة.

نحن في أزمة حقيقية، لقد ورثنا أفكار كثيرة دينية – مسلمون ومسيحيون – ولكن باب الاجتهاد لم يغلق، وباب الفكر لم يغلق، وما أُفتي فيه من قبل منذ ألف سنة، يستحق الأمر الآن أن نعيد دراسته من جميع الاتجاهات، خاصة في ظل التطور التكنولوجي والمعرفي الذي يجتاح العالم منذ عشرات السنين.

المشكلة كون العقل الديني المصري – مسيحيون ومسلمون – متشابك، إن مراسم الدفن والاحتفاء بليلة الأربعين للميت والذهاب للمدافن في المواسم وتوزيع الطعام على الفقراء، كله سلوك متوارث من الحضارة الفرعونية؛ وصل إلى المسيحية والإسلام، ويفعل ذلك المسلمون والمسيحيون على السواء.

حسنًا، إن نظرتنا للدين في العقل المصري لا علاقة لها بجوهر الإسلام أو المسيحية، دائمًا تلك المجموعة من الأفكار التي تم توارثها فأجبرت الناس على الخنوع وعدم رفض ما يأتي به السلطان - أيًا كان هذا السلطان – لقد أسأنا تفسير عبارة أولي الأمر، وكيف نطقت مذيعة مصرية – امرأة – بمفهومها لعبارة أولي الأمر بهذه البساطة وهذا التفكير، إنها عبارة آلية لا مكان للتفكير فيها، أوهام القبيلة والعقل والمسرح التي أشار إليها بيكون منذ خمسة قرون أو يزيد، هنا جوهر المشكلة الحقيقي، لم يكن الإسلام رافضًا للثورة ولعلّ عبارة أبو ذر الغفاري: "عجبًا لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج شاهرًا سيفه على الناس" واحدة من أقوي عبارات التمرد في التاريخ وليس في العصور الإسلامية وحدها، وما دمت ارتضيت التمرد في لقمة العيش فالتمرد وارد إذا تعلق الأمر بالحرية أو الديمقراطية أو غيرها، ولكننا فسرنا كل شيء خطأ وارتضينا التواكل العقلي بينما كان الإسلام في العصور الزاهرة يكتسح العالم فكرًا وترجمة وإشعاعًا حضاريًا.

المشكلة أن جزءًا من العقل المصري – إن لم يكن كله – عبارة عن موروثات دينية وثقافية اختلط فيها الحق بالباطل والصحيح بالخطأ، إن الهوية الدينية للعقل المصري هوية تراثية، إنها قضية شائكة تحتاج

حوارًا طويلاً ، وآلاف الصفحات، وإعادة لترتيب الأوراق، والعلاقة بين الحاكم والدين هي علاقة فرض لسطوة الحاكم باسم الدين، وعلاقة سطوة الخيال المريض حين كان يجب أن يسطو العقل، مشاغبة أحاسيس الإنسان العادي المتعلم وليس المثقف.

لم يكن الإسلام يومًا ضد فكرة تحرير العقل، ولعل أسماء مثل (الغزالي) و(ابن رشد) مازال بريقها يشع إلى اليوم، فمن قال إن الإسلام ضد حرية الفكر؟

لكننا كبلنا العقل في النهاية، كبلناه لصالح السلطان، وولي الأمر، ورب الأسرة، وصاحب المحل، والميكانيكي، ثم تركنا كل ذلك لردة فعل جماعية لا يسعني سوى أن أسميها بالعبثية التغيبية.

في الوقت الذي كان يجب أن يستخدم فيه الدين لتحرير الناس من عبودية الفرد السلطان، تحول إلى تقييد الناس بأفكار خيالية وتخيلية، كأن الأرض والوطن لم يعودا موجودين، أصبحنا ندمر كل شيء والدين واقف يتفرج ويهز رأسه في أسف، ندمر أنفسنا وأبنائنا ووطننا، وأصبح الضمير الديني الذي منحنا الله في خبر كان، موجود ولا يعمل، ولم يعد هناك مكان لروح التسامح وروح الطمأنينة، أصبحتْ حرب شهداء بين السلطان، ورجال دين باحثين عن ترسيخ مقعد الحاكم، ورجال دين يتطلعون إلى مقعد الحاكم.

هذا هو ما وصلنا إليه في النهاية، علاقة خوف من الآخر، علاقة عدم ثقة في الآخر، علاقة دم يجب أن ينثر على الأرض دون أن نفكر لصالح من، ما هذه الحروب الطائفية الغريبة في هذه الأوقات بالذات ولصالح من، كأنه كتب علينا أيضًا من جملة سلسلة الثأر أن يكون التطرف الديني جزءًا منها يذكيها ويشعلها.

إن روح التسامح بين المصريين كانت مضرب الأمثال عبر التاريخ..
فماذا فعلنا بأنفسنا؟